الفصل الأول

- مقدمة.

- أهمية التعاون والتنافس والفردية داخل الفصل الدراسي.

مقدمة

حث الإسلام علي التعاون بين الناس جميعا كما قال جل علاه ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان ﴾ (سورة المائدة: الآية ٣) . وقال الرسول صلي الله عليه وسلم : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك أصابعه. "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى" .

كما حث الإسلام علي التنافس فى الخير وصالح الناس جميعاً كما قال المولى جل علاه ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ (سورة المطففين : الآية ٢٦) . وقد تسابق الرسول صلي الله عليه وسلم مع السيدة عائشة فى الجري، وقد سبقها الرسول فى المرة الأولي، وسبقته السيدة عائشة فى المرة الثانية . وقال عليه الصلاة والسلام: هذه بتلك .

وقد كان حث الإسلام علي التعاون والتنافس لحكمة عظيمة شعرنا بقيمتها، وأهميتها، ونحث علي زيادتها فى الوقت الحاضر، حيث إنها مطلب أساسى من مطالب المجتمع التى يسعي إلي تحقيقها فى ظروف التنمية الشاملة وزيادة الانتاج التى ننادى بها لبناء جديد للمجتمع المصرى .

ولذلك يعتبر كل من التعاون Cooperation والتنافس Competition ظاهرة مهمة من ظواهر العلاقات المتبادلة بين زملاء العمل، وكل منهما إلي جانب ذلك يعتبر من دوافع العمل وحوافزه .

فالتعاون يعد من أهم عمليات التفاعل الاجتماعى، ولا تقوم الحياة دونه، فهو ضرورى لبقاء الجماعة وتقدمها وتحضرها، وأغلب الأنشطة اليومية لا تتم إلا بالتفاعل التعاونى، لأن الانسان لا يعيش بمعزل عن الآخرين فيعتمد الناس بعضهم على بعض فى اشباع حاجاتهم، الأمر الذى أدي إلي ضرورة وجوده فى المجتمعات الحديثة .

وتظهر أهمية التعاون فى أنه يدعم وحدة الجماعة ويزيد من صلابتها وتماسكها، وتنمية الاتجاهات التعاونية، وتشجيع التعاون يعد من الأهداف الرئيسية للتربية، ويمكن تشجيع التلاميذ على الاشتراك فى أنشطة جماعية يرحبون بها ويقبلون عليها.

كما أن التعاون على مستوي الخلية يعتبر اللبنة الأولى فى الجسم، فنجد أن لكل مكون من مكوناتها عملاً متناسقاً ومتناغماً مع بقية مكونات الخلية الأخري، وتتعاون مجموعة هذه الخلايا فى أداء وظيفة معينة فى كل نسيج معين من جسم الكائن الحى، ثم تتعاون هذه الانسجة مع بعضها لتكون أجهزة الجسم المختلفة التى بدورها تؤدى الوظائف المختلفة فى هذا الكائن الحى بطريقة متعاونة لكى يعيش هذا الكائن صحيحا سليما.. واذا اختل أى جزء عن قيامه بعمله المتعاون اختلت العمليات الحيوية فى هذا الكائن الحى وأصابه المرض.

ويرى علماء النفس أن البحث فى الخصائص البنيوية للجماعة المتعاونة هى التى تكشف مظاهر السلوك التعاونى فى الجماعة... فنجد أن الأطفال فى الجماعات الصغيرة يفتقرون الي التنظيم الجماعى.... ويسيطر علي تفاعل الجماعة العدوان اللفظى والبدنى، ويبدو أن الحاجة إلي التنظيم هى إحدي محددات هذا السلوك التعاونى.

وأن السلوك التعاونى يظهر فى نوع البنية... والبنيان المقصود به نمط التفاعل بين الأفراد فى الجماعة، أو أداء الجماعة ككل... والجماعة عبارة عن فردين أو أكثر يسلكون سلوكا اجتماعيا تبعا لمعايير مشتركة فلكل منهم دور فى الجماعة يؤديه، مع تداخل هذه الأدوار بعضها مع بعض، والسعى لتحقيق هدف مشترك، ويقوم هذا كله علي ما يسمي بعملية التفاعل بين الأعضاء.

وهذا التفاعل ليس بمثابة عمل مشترك وموجه من فرد الي آخر بل هو تفاعل ذاتى Self-reaction، وتفاعل متداخل مع الذات، فالطفل لا يستثير الأخرين فقط ولكن يستثير ذاته فى الوقت نفسه.

كما أن البنية السسيومترية للجماعة هى محدد قوى للسلوك التعاونى. فالجماعات المكونة من أفراد ينجذب كل منهم تجاه الآخر (جماعات متماسكة) ويكونون أكثر تعاونا مع الجماعات المكونة من أشخاص لا ينجذب كل منهم الي الآخر (جماعات غير متماسكة).

والتماسك عبارة عن مجموع القوي التى تؤدى الي ابقاء عضوية الأفراد فى الجماعة، ويتوقف هذا التماسك علي وجود شيء مشترك بين الأعضاء، إذ أن الاختلافات تولد فقدان الزمن، وعدم وحدة الهدف. فمن الحقائق الثابتة أن الأفراد ذوى الخبرات المشتركة يكونون

أكثر ترابطا. ويتوقف أيضا التماسك على مدي شعور الفرد بالانتماء للجماعة، ونوع التنظيم الداخلى الذى ينسق بين سلوك الأفراد، والأدوار التى يقوم بها الأفراد فى الجماعة والتى تؤدى إلي زيادة ترابط الجماعة وتماسكها.

وهناك رأى آخر كونه علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، وعديد من علماء النفس الاجتماعى ذو وجهة نظر مختلفة، فقد أثبتوا أن سلوك شخص ما، ما هو إلا انعكاس للموقف الذى يمر فيه، وأن القوي الاجتماعية التى تلازم الموقف، وترتبط به هى التى تشكل وتحدد سلوك الانسان فى أي لحظة معينة. فالسلوك التعاونى هو وظيفة لموقف.

وقسم ماكليفر Maclfer التعاون إلي عدة أنواع وهى علي النحو التالى:

١ - التعاون القائم علي أساس المصالح المشتركة Common Interests وفيه يتعاون الناس، لا عن اعتقاد منهم بأن العمل التعاونى يؤدى لخيرهم من العمل الفردى بل احساسا منهم بقيمة المجموعة المتعاونة بمثلها العليا - كمصلحة الأسرة المشتركة مثلا أو الجماعة التى ينتمى اليها.

٢ - التعاون القائم علي أساس من المصالح المتشابهة أو المنفعة المتبادلة Similar Interests فالفرد فى هذه الحالة - يتعاون لا لكونه يحس أنه دون التعاون ونجاح المجموعة لا ينجح هو بل لكونه وجد أن من الممكن أن تتفق ومصلحته مع مصلحة الآخرين، وأن المصلحة الخاصة لو تعارضت مع المصالح الأخرى المتشابهة فإنه لا يتعاون. فهو تعاون قائم على التوفيق والتصالح Conciliation مؤقتا بين مختلف المصالح، واتحاد وجهات النظر فيما يؤدى إلى المنفعة المتبادلة..... ويلاحظ أنه فى هذا النوع من التعاون يكمن عنصر الصراع الخفى والمنافسة المستورة.

ومن هنا فالتعاون عملية كامنة فى الجماعة، وهى تقتضى بحكم طبيعتها الخاصة، التفاعل ما بين الأشخاص لتحقيق هدف مشترك. ولكى يحقق الأفراد هدفهم المشترك ينبغى عمل الآتى:

الأول : ضرورة تحقيق التفاعل الاجتماعى الناجح بينهم.

الثاني: ضرورة قيام الأفراد بإنجاز النشاط الذى يؤدى إلي بلوغ الهدف. ولا بد من تحقيق التفاعل الاجتماعى أولا قبل التصدى لتحقيق الهدف. لذا يري بعض العلماء أنه قبل التصدى لعملية جديدة علي أداء لمجموعة، يجب أن تكون هناك فترة تمهيدية لتعرف المشكلة، وتبادل الأعضاء لوجهات النظر، لتخطيط سبل التفاعل والعلاقات المتبادلة للأداء،

فإذا كانت العملية تتطلب درجات عالية من التنسيق والتعاون، فإن اتمامها بفاعلية بين الأفراد لن يتم قبل تحقيق التفاعل بينهم.

فإذا تحقق التفاعل المناسب بين الأفراد والموصل الى الهدف بنجاح، تحققت الفاعلية، بشرط أن يكون الهدف المطلوب، وينتج عن فاعلية هذا التفاعل الانسجام بين الأعضاء فى الجماعة.

وينتج من فاعلية التفاعل التعاون والتماسك والتبادل، ورفع كل فرد فى الجماعة لقدر الآخرين، والتطوع بالمساعدة، والسماح بحرية التعبير عن الرضا والتجاوب والتقبل والطاعة.

واذا كان التعاون سلوكاً مهماً فى حياة الأفراد والجماعات، فمن الأجدر بمكان أن يكون التعاون من أهم مطالب النمو الاجتماعى للأطفال منذ نعومة أظافرهم... ليتعلم الطفل كيف يعيش مع نفسه، ويتفاعل مع غيره من الناس. ولمساعدة الطفل على تحقيق أفضل نمو ممكن من خلال دراسة نمو السلوك الإنسانى لتحديد أفضل الشروط البيئية الممكنة للتعاون والتى تؤدى إلي أحسن نمو ممكن. ولتيسير اكتساب التكيف الاجتماعى السوى، وذلك من خلال أساليب تعلم المهارات الاجتماعية وخاصة المهارة التعاونية.

وقد أظهرت نتائج بعض الدراسات السابقة أهمية التعاون بين مجموعات الأطفال فأوضحت دراسة دويتش (١٩٤٩) أن التعاون يؤدى إلي تنسيق جهود الأعضاء، وإلي تقسيم العمل فيما بينهم، وزيادة تقبلهم للأراء، والمقترحات المتبادلة بينهم، والاتفاق فى الآراء، وتبادل المساعدة، وقلة صعوبات الاتصال.

كما استعرض جونسون وجونسون (Johnson & Johnson, 1974) نتائج تسع دراسات تناولت تأثير التعاون والتنافس علي عدد من المتغيرات التربوية والسيكولوجية، وتوصلا إلي تفوق أثر التعاون علي التنافس فى زيادة ايجابية اتجاهات التلاميذ نحو الآخرين بصفة عامة، وزيادة الاهتمامات المشتركة بينهم، وروح الصداقة، والانتباه للآخرين، والشعور بالامتنان للآخرين. وبناء علي استعراض نتائج ثلاث دراسات تبين للباحثين أن المنافسة قد تؤدى إلي رفع معدل قلق الأفراد، ونقص الثقة بالنفس، وزيادة الرغبة فى اشباع الحاجات الفردية. بينما يكون الأفراد فى ظل التعاون أقل قلقا، وأكثر تمركزا حول العمل وتحقيق الهدف.

كما اتفقت دراسة ماركوس ,Marcus مع دراسة دينهام Denham التى درست مستويات العاطفة فى تعاون الأطفال، فوجدا أن هناك ارتباطاً ايجابياً بين مشاعر السعادة عند الأطفال وبين سلوكهم التعاونى. بينما وجدت علاقة سالبة بين انتشار مشاعر الكره والغضب، وبين السلوك الاجتماعى التعاونى لهم.

ومن ثم فإن التعاون يتمم عملية ايجابية أخري تسمي التوافق Accomodation وهى ما يؤدى اليه التعاون فى نهاية الأمر بالنسبة للفرد المتعاون.

والتوافق عملية أخذ وعطاء وصداقة Friendly to taking & giving process وتـواؤم واع Conscious adjustment للجماعةعن طريق التسامح tolerance مـع الآخرين، والتصالح والتوفق بين مختلف الرغبات.

وهنا يكون التعاون الكامل Full cooperative الذى تسود فيه روح الايثار (الغيرية) Altruistic spirit فى كل نشاط. وفى هذه الحالة يكون التعاون مظهرا واضحا فى حياة المجتمع. ولذلك يكون الهدف الرئيسى فى تعلم الخبرات التعاونية هو أن يتمكن الأطفال فى المستقبل من أن يصبحوا متقبلين للمشاركة بأى خدمة مادية أو إنسانية .

أهمية التعاون والتنافس والفردية داخل الفصل الدراسى

يتزايدالاهتمام بالجوانب الاجتماعية للعملية التعليمية، وخاصة تفاعل التلميذ مع التلميذ الآخر، أو تفاعل التلميذ مع الجماعة أو تفاعل الجماعة مع الجماعة الأخري أثناء تعلم المادة الدراسية. ولذلك فإن العلاقات الاجتماعية لها أهمية بين التلاميذ فى المدرسة، لأنها تستثيرهم للتعلم، وتعدل من اتجاهاتهم، وتعتمد هذه العلاقات الاجتماعية فى الموقف التعليمى علي نوعية الاعتماد المتبادل Interdependence بين التلاميذ.

ويتم التفاعل بين التلاميذ فى الفصل الدراسى بثلاث صور رئيسية من الاعتماد المتبادل. تؤثر كل منها فى تفاعل التلميذ مع زملائه ومع المدرس. كما تؤثر فى اتجاهاتهم واحتفاظهم بالمادة التعليمية.

وأول هذه الصور «الاعتماد الايجابى المتبادل» المسمي بالأسلوب التعاونى، والذى يسهم فى تطوير اتجاهات التلاميذ نحو المدرس الذى يهتم بإنجاز أهدافهم المشتركة، و.. أفرانهم الذين يحبونهم. كما أن له أهمية فى إتقان المفاهيم والقواعد والاحتفاظ بها لمدة أطول، وتطبيقها فى مواقف تعليمية أخري.

أما الصورة الثانية فهى «الاعتماد السلبى المتبادل» المسمي بالأسلوب التنافسى الذى له فعالية فى حث التلاميذ على التعلم فى حجرة الدراسة، ويثير اهتمامهم بالمادة التعليمية، ويهييء لهم الفرص التى تساير قدراتهم بشرط أن تتوافر الموضوعية فى تقدير التلاميذ.

والصورة الثالثة «لا اعتماد متبادل» بين التلاميذ، والمسمي بالأسلوب الفردى الذى يحث التلاميذ على التعلم بأنفسهم، ويزيد من اتقانهم للمعلومات والحقائق والاحتفاظ بها لمدة أطول.

وقد أشار سلافين وآخرون Slavin et. al., إلى عدة أساليب للتعلم التعاونى والتنافسى يمكن استخدامها فى الفصل الدراسى. من أهمها: أسلوب تكامل المعلومات المجزأة التعاونى المسمى بـ Jigsaw وأسلوب فرق الالعاب Team - games - Tournament، وأسلوب عمل التلاميذ فى فرق وتوزيعهم عليها بناء علي التحصيل الأكاديمى Student Teams and Academic Division وأسلوب التعلم التعاونى Cooperative Learning، وأسلوب تدريس الجماعات الصغيرة Small - group teaching method، وأسلوب تعلم التلميذ فى الفرق Student - Team Learning، وأسلوب البحث الجماعى group Investigation.

وأضاف جونسون وآخرون أربعة أساليب أخري هى: التعاون الجماعى، والتنافس الجمعى، والتنافس الفردى، والفردية.

ويرجع تنوع هذه الأساليب إلي أنه لا يوجد أسلوب تعليمى واحد يحقق أفضل النتائج لجميع التلاميذ، إذ أن أسلوبا تعليميا معينا قد يكون مناسبا لتلميذ معين، بينما لا يناسب تلميذا آخر بالدرجة نفسها.

وقد انتشرت هذه الأساليب فى السنوات القليلة الماضية - من سنة ١٩٧٠ إلي سنة ١٩٩٠م - فى أمريكا. وكان لها أثر فى التحصيل الأكاديمى، وفى اتجاهات التلاميذ نحو كل من المدرسة، والمدرس والمادة الدراسية. كما كان لها أثر فى التفاعل الاجتماعى بين التلاميذ، كما ذكر همفريز Humphreys وآخرون أن أسلوب التعلم التعاونى يزيد تحصيل التلاميذ واحتفاظهم بالمعلومات المدرسية وإتقانهم لها، ويزيد الرغبة فى التعلم، ويولد اتجاهات إيجابية نحو الموضوع. كما يزيد الاهتمام بالأقران وبالمادة الدراسية والشعور بالثقة المتبادلة والدافعية لإنجاز الأهداف المشتركة، والمثابرة فى بذل الجهد.

ويري جوليان Julian وبري Perry أن أعضاء الجماعة تكون لديهم دافعية لإنجاز أهدافهم فى التنافس الفردى والجمعى أكثر من التعاون الجمعى. وتتولد العلاقات الإيجابية المتبادلة بين أعضاء الجماعة التعاونية، وتزداد المشاركة والمسئولية بينهم أثناء أدائهم للمهام.

كما بين رافين Raven واتشيوز Eachus أن التعاون يزيد استمتاع التلاميذ بأداء مهامهم، فيحث بعضهم بعضا على العمل.

واستنتج جونسون وآخرون من دراساتهم أن التلاميذ فى التعلم التعاونى يكونون أكثر تأييدا وتسهيلا لإنجاز أهدافهم المشتركة. كما يكونون أكثر تشجيعا للجهود الفردية وأكثر انضباطا فى تبنى المنظور المعرفى والانفعالى للآخرين، وأكثر إيثارا لهم، وأقل رفضا للذات، وأكثر حبا للذين يسهلون تحقيق أهدافهم. كما يشعر التلاميذ بالاستمتاع عند العمل معا أكثر من التلاميذ فى التعلم التنافسى

وتوصل بردجمان Bridgman وآخرون فى دراساتهم إلي أن التعلم التعاونى يزيد مبررات تبنى الآخرين لأدوارهم Role Taking Rational من خلال الاهتمام بالمنظور المنطقى للآخرين Logical perspective. كما يزداد تبنى المنظور الانفعالى للفرد من خلال الاهتمام بالمنظور الانفعالى للآخرين. كما توصلوا إلي أن تبنى الدور أحد العوامل المسئولة عن التعلم التعاونى الذى يزيد من تقدير الذات والجاذبية الشخصية، ويقلل من الأنانية بين التلاميذ.

وبالنسبة للتنافس: فقد أشار جونسون وآخرون إلي أن التنافس يزيد السرعة فى إنجاز العمل، وبينوا أيضا أن خبرات التعلم التنافسى ضرورية لأن التلميذ يستمتع بها إذا كانت هناك فرص مناسبة لمقارنة الكفاءات الفردية، ويزداد توقع التعرض للإحباط لدي تلاميذ التعلم التنافسى لعدم الاستمتاع بالتعلم، وتكون لديهم دافعية خارجية لتحقيق درجات مرتفعة. كما يولد التنافس الكراهية والعدوانية بين التلاميذ، وإعاقة بعضهم لبعض عند تحقيق الهدف، ويزداد فى التعلم التنافسى قلق التلاميذ والخوف من التقويم فى الموقف.

يتضح من العرض السابق أن أسلوب التعلم التعاونى فى الفصل الدراسى يزيد من إتقان التلاميذ للمعلومات والحقائق والمفاهيم والقواعد والاحتفاظ بها. كما أن التعلم التعاونى ينمى لديهم المهارات الشخصية والاجتماعية والاتجاهات الإيجابية نحو كل من المدرسة ، لأنشطة التعليمية وموظفى المدرسة والتلاميذ الآخرين. كما يقلل من التحيز والمحاباة بينهم ويزيد من الاستمتاع بالعمل، ويخفض من درجة القلق.

كما أن التلاميذ فى التعلم التعاونى يكونون أكثر جاذبية بعضهم لبعض وأكثر تحملا للمسؤلية عند توزيع المهام عليهم، ولذلك يبذلون أقصي جهد لديهم فى الدراسة معا.

كذلك يمكن استخدام التعلم التنافسى فى الفصل الدراسى عندما يحاول كل تلميذ تحقيق هدفه قبل زملائه، وأن خبرات التعلم التنافسى يستمتع بها التلاميذ إذا كانت لديهم فرص مناسبة لمقارنة كفاءاتهم فيما بينهم.

مما تقدم تظهر أهمية استخدام التعلم التعاونى أو التنافسى فى الفصل الدراسى كبديل للأساليب التقليدية المستخدمة فى المواقف التعليمية.